أماني حسناء

للقصصي الفرنسي كاتول مانديز

بقلم الأديب صلاح الدين المنجد

« كاتول مانديز شاعر وروائي وقصصي ... أوتي من الفهم والذكاء ما جعله يخوض في كل فن ويطرق كل باب .. قضى حياته في العمل المثمر والسعي المتواصل ، وكان يعشق الحياة والشباب والجمال وله في ذلك قطع من أرق الشعر وأجلاه . أشهر مؤلفاته : الأماسي الكئيبة ، مجموعة أقاصيص ، عذراء ايفلا »

كانت رائعة الحسن غضة الصبا . ظهر الورد في خديها الناعمين فوق الزغب الحريري الجميل . وبدا السحر في أهدابها الوطف الناعسة ، وتفتحت أنوثتها الرقيقة عن جسم بض ريان ، ونديين بارزين فيهما السحر الحلال ، فغدت كزهرة من أزهار التفاح في أوائل نيسان ... كلها فتنة ، وكلها جمال

انطلقت ذات صباح تتهادى بين الحقول بتيه وخيلاء ؛ يعلو جبينها المشرق سحابة من هم روع قلبها وأشناه . فرأتها جنية صغيرة كانت تتنقل بين الأعشاب ، فحزنت لها وأشفقت على ذلك الشباب ... فخرجت إليها تجرر ثوبها الأزرق الحريري، وسألتها بصوت هادئ رنان :

— ما الذي يشجيك يا حسناء ... ؟ لقد أوتيت من الحسن ما تتمناه كل فتاة ! إن لك لشعراً لونه كلون سنابل القمح في حزيران ... وإن لك لعينين لونهما في زرقة السماء إذا تنبه الفجر الوسنان ... وإن لك لفما رقيقاً وظلمة ساحرة مشرقة ، ومشية خفيفة فاتنة ، فما الذي ينغص عيشك ويحزنك يا أختاه ... ؟

— ... ... ؟

— لم لا تقولين ما بك يا فتاة .:. ؟ أتشتهين ارتداء ثوب حريري جميل ... ؟

أتودين لبس حذاء رصع بجوهرة نادرة وزين بشرط ناعمة ؟

— أوّاه ! أوّاه !

— لكن حدثيني ... مالك ... ؟ أتشكين من الخبز الذي تأكلينه ؟ أترغبين في العسل الشهي والرُطب الجني ؟ .. لشد ما تحزنينني ياصبية ! تكلمي وأسمعيني .. أتطمعين في أن تكوني ابنة أمير غني ظالم ترفلين في قصره بالدمقس وبالحرير بين ستور الخز ونضائد الديباج ، وتحيط بك الوصائف والجواري ، تغمضين أجفانك إذا أقبل الليل بين أناشيدهن العذاب ، وتفتحين أجفانك إذا أقبل النهار بين رقصاتهن السواحر ... ويأتي إليك الأمراء ينشدون ودك ويطلبون رضاك .. لتنظري إليهم بطرفك الفتاك، أو لتبتسمي لهم بثغرك الفتان ...! تكلمي .. تكلمي ..

قالت الفتاة وقد وضعت كفيها الصغيرتين فوق وجهها لتخفي ابتسامة علت ثغرها كلها سحر ودلال ..

— كلا .. كلا .. ما أريد هذا ولا ذاك! ولكني أغار.. نعم أغار من الأزهار. إنهن لجميلات.. وإني لأغبطهن تارة، ويداخل قلبي الحسد لهن أخرى ... آه لو كنت زهرة بنفسج في أحد الروج الخضر ... !

سدة ملكنا المحبوب سيدي محمد الذي نحمد الله على شفائه من مرضه وحفظه لأمته التي لها فيه آمال كبار ومتمنيات جسام لا طمع لها في غيره بتخفيفها وإقرار عينها بها ، ومن جملتها الجامعة التي تشرف الملكة السعيدة وتثني كثيراً من أبناء المغرب عن تكبد مشاق السفر والغربة في طلب العلم في البلاد الأجنبية ، وما ذلك على همته العلوية بعزيز

« طنجه » عبد الله كنون الحسني

— هه .. هه .. إذن كونى زهرة بنفسج ياحسناء ...!

فانقلبت حسناؤنا فجأة إلى زهرة بنفسج نبتت بين الأعشاب الندية فى أحد الحقول .. وراحت تتغازل الشمس فى النهار ، وراح القمر يغازلها فى الليل .. لقد كانت فاتنة تبهر العين وتغريها . ولقد كان لها أريج عطر يسكر النفس ويحييها ... يالجمالها ! إنها ترقد بهناء وسرور .. تضحك وتلهو .. وترسل شذاها يملأ السهل والوادى .. حتى إن أزاهير الغاب حسدتها ، ورحن يتهامسن ويقلن : « يالسحر هذه الزهرة !. إن الفراشات ليتشاجرن من أجلها ، ويترامين فوقها .. يالسحرها .. يالسحرها !

ولكن .. مالها .. ؟ إن الكآبة قد عاودتها ، وكاد الذبول يقضى عليها ؛ وإنها لتذرف الدمع صباح مساء ..!

وجاءت إليها جنيتنا تمشى فضلاً بثوبها الأزرق الحريرى ... وقالت لها :

— إيه يازهرة البنفسج ! ما الذى يشجيك أيضاً ... ؟ أما تمنيت أن تكونى زهرة بنفسج فكنتها ... ؟ إنك الآن سيدة الأزهار ... إن صواحبك زهرات الغاب ليحسدنك على جمالك ونضرتك . فتكلمي يازهرة البنفسج ...

— ... ... !

— لك الله يازهرة البنفسج ! كم أنت حزينة ... أرغبت عن الحياة بين الأعشاب ؟ أتريدين العيش وسط الخمائل والرياض ؟ تكلمى ... أيتها الزهرة الصامتة !

— ... ... ؟

— أأصابك الملل يا حسناء من أولئك الفراشات اللائى يطفن حولك ليل نهار ويتشاجرن من أجلك ويسعين لتقبيلك ؟

فتنهدت الزهرة ولم تقل شيئا

قالت الجنية :

— لشد ما يغيظنى صمتك يا زهرة البنفسج ! ألم ترقك الحياة هنا ؟ أتريدين أن تعيشى فى قصور الأميرات لتوضعى فى أوانى الصين الفاخرة فيعجب من حسنك كل من يراه ! ولتحلى صدور أولئك النواعم الحسان ... ! آه منك يازهرة البنفسج ... لم لا تكلمينى !

قالت الزهرة :

— كلا ياأختاه ... ولكن حسبت أن زهرة البنفسج هى أجمل الأزهار ، وما علمت أنها صورة الحزن ورمز الألم ..! وأنا أنفر كما تعلمين من الحزن وأخاف الألم ... آه لو كنت زنبقة فى إحدى الرياض ... إن الزنبق لأجمل الأزهار . أليس كذلك ؟

— أوه ! أهذا كل ما تتمنينه؟ إذن كونى زنبقة كما تريدين !

فانقلبت زهرة البنفسج إلى زنبقة ما رأت العين أجمل منها أبداً . ولكن ... لقد عاودتها الكآبة بعد أيام . إنها تريد أن تكون ياسمينة بيضاء .. كلا .. كلا، إن الفل أجمل من الياسمين.. وإن شذاه لمسكر ! ولكن ... الورد ... الورد .. أليس الورد ملك الأزهار ؟ إنها تريد أن تكون وردة ... وردة حمراء ...!

وانقلبت الفتاة من زنبقة إلى ياسمينة، ومن ياسمينة إلى وردة؛ عندئذ قالت :

— الآن طاب لى المقام وطاب لى العيش . لقد أصبحت سيدة الأزهار وهدية الأحباب إلى الأحباب ... ! وما علىّ إلا أن ألهو براحة وهناء ... !

فلما كان الليل رأت فتى وإلى جانبه فتاة يتقدمان على مهل حتى استقرّ بهما المكان إلى جانبها . فهمست فى أذن جارتها :

— أوّاه ! إنها لجميلة ... انظرى إلى الجمال كيف يرفّ فى وجهها ، وإلى السحر كيف يشيع فى صوتها ... لقد كنت أجمل منها إذ كنت فتاة ! يا حسرتاه ! ...

وراحت الوردة تنظر وتصغى ... تنظر إلى الحبيب يعانق حبيبته ، فيلثم ثغرها ويجس نهدها ... أو يناجيها بأرق الغزل وأحلاه . فى هدأة هذا الليل المقمر الشاحب ، فتجيبه بكلمات تخالها قطع الرياض كسين زهراً !

وذرفت الوردة دمعة ... وقالت

— آه لو بقيت فتاة إذن لكنت ... ولكان لى فتى ... ! ولكن ... إن جنيتى قد تولت عنى فمن لى بها ؟ لقد قالت لى إنها سترجع ، ولكن أين هى ؟ وتنهدت الوردة عند السحر ، فذكرت ما رأته فى الليل ... وما سمعته ، وذكرت جمالها وسحرها ، وكيف ذهب الجمال وغاض السحر . فذرفت دمعاً بلّل خديها وراح يروى الثرى ؛ وقضت نهارها فى وجوم يعبث فى النفس الأسى . فلما كان أصيل الغد ، وكادت الشمس أن تطفل ، رأت امرأة بارعة القد ، صبيحة الوجه ، تمشى الهوينا إلى جانب رجل فى ريعان الشباب ، ومعهما طفل يعدو وراء الفراشات فجلسا إلى جانبها . قالت المرأة :